الفصل الأول

نشأة الصهيونية غير اليهودية

صناعة أسطورة

ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسى لأول مرة كأيديولوچية سياسية شاملة وحركة سياسية منظمة فى أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها «كفكرة» سبقت الصهيونية اليهودية؛ إذ يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك. ولم تنشأ الفكرة الصهيونية، بما فى ذلك أسطورتها الأساسية، فى هذه الفترة ولكنها تعود فى تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بازل عام ١٨٩٧م حين التفت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيونى[١]. وقد اتخذ النسيج الصهيونى شكله خلال القرون الأربعة لتاريخ أوروبا الدينى والاجتماعى والفكرى والسياسى نتيجة تداخل خيوط كثيرة مختلفة من الثقافة الغربية، وفى طليعتها الخيوط الدينية. وعلى ذلك، فالتعاليم الصهيونية غير اليهودية قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التى تسربت للتاريخ الغربى، وكان أكثرها وضوحًا ما تم عبر حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى فى القرن السادس عشر.

والأساطير الصهيونية التى بدأ غرسها فى هذه المرحلة المبكرة فى البيئة غير اليهودية كانت متوافقة مع تلك التى أصبحت تشكل فى النهاية المنطق الروحى الباطنى للصهيونية اليهودية السياسية، وهى أساطير الشعب المختار، والأرض الموعودة، والمجىء الثانى للمسيح. وقد جعلت أسطورة الشعب المختار اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة الأرض الموعودة تركز على الارتباط السرمدى الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك مُنحَتْ فلسطين لليهود كأرض كُتبَتْ لهم. أما أسطورة ترقب عودة المسيح فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حدًّا لتشرده فى الوقت المناسب ليعود لفلسطين لإقامة وطنه القومى هناك إلى الأبد.

obeikandi.com

ونحن نستعمل مصطلح «أسطورة» بمعناها الاجتماعى الذى أوجزه تالكوت پارسونز[٢]، وهو يعنى أنماط الاعتقاد المقدسة التى يقبلها المجتمع بشكل عام؛ لأن فيها عناصر محسوسة وذات ارتباط بالدين والتاريخ أو السياسة. والأساطير بذلك تمتزج بأنماط اعتقاد أيديولوچية معقدة يتقبلها أفراد المجتمع فى العادة بشكل لاشعورى. وتكمن ميزة الأساطير الصهيونية فى الدمج الوثيق بين العناصر القومية والتاريخية والدينية التى تشير إلى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة والشعب المختار[٣].

لقد بدأت الصهيونية غير اليهودية تتخذ شكلاً متميزاً فى أوائل القرن السادس عشر، حين تضافرت حركة النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح الدينى على إرساء أساس التاريخ الأوروبى الحديث. وقد أثار الاهتمام بالأدب التوراتى وتفسيره اهتماماً عامّا باليهود وعودتهم إلى فلسطين. وعلى ذلك، لم يعد تحرير اليهود ـ إعطاء حقوق المواطنين ـ هو لب المسألة اليهودية فى القرن السادس عشر، بل الدور الذى كُتبَ على اليهود أن يقوموا به بشأن القضايا الجديدة كتحقيق نبوءات التوراة واليوم الآخر والمجىء الثانى للمسيح.

وعلى هذا، فإن حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى، بإتاحتها الفرصة للنهضة اليهودية القومية وعودتهم الجماعية إلى فلسطين، هى التى ابتدأت سجلاّ جديداً للصهيونية غير اليهودية كعنصر مهم فى اللاهوت البروتستانتى والإيمان بنهاية العالم.

إصلاح تفسير التوراة

فلسطين المسيحية فى القرون الوسطى

لم يكن فى الفكر الكاثوليكى التقليدى قبل عقد الإصلاح الدينى أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفى للتوراة ويفضلون التفسيرات المجازية التى أصبحت الأسلوب الرسمى للتفسير التوراتى كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وكان يعتقد أن الفقرات الواردة فى التوراة، وبخاصة فى العهد القديم، والتى تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة

المسيحية مجازًا. أما اليهود فإنهم، طبقًا للعقيدة الكاثوليكية الرسمية، فقد اقترفوا إثمًا فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم فى بابل.

وعندما أنكروا أن عيسى هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى «الأمة اليهودية» إلى الأبد، ولذلك فليس لليهود مستقبل قومى جماعى، ولكنهم كأفراد يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحى باعتناقهم للمسيحية.

والنبوءات المتعلقة بعودة اليهود كانت تُؤَوَّلُ على أنها عودة الإسرائيليين من المنفى فى بابل، وقد تحقق ذلك فى القرن السادس قبل الميلاد حين أعادهم «قورش» إلى فلسطين. أما الفقرات الأخرى التى تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل، فإنها كانت تُحْمَلُ على أنها تنطبق على «إسرائيل الجديدة»، أى الكنيسة المسيحية التى كانت تعتبر إسرائيل «الحقيقية» والوريث المباشر للديانة العبرية.

كانت هذه هى فكرة «De Civitate Dei» الذى كتبه القديس أوجسطين، والذى يعتبر التحفة الأدبية للاهوت الكاثوليكى. ويعتبر الأب أوجسطين، الذى عاش فى القرن الخامس، واضع العقيدة التى كانت الكنيسة بموجبها تجسد مملكة الله الألفية السعيدة. وبقى الأمر المسلم به أن هذه العقيدة هى الرأى المسيحى التقليدى فى اليهود حتى القرن السادس عشر. ونتيجة لذلك، كانت فترة العصور الوسطى تميل إلى الفصل بين اليهود المعاصرين والعبرانيين القدامى(٤).

وكانت فلسطين تعتبر أساسًا الوطن المقدس الذى أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين، ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية، بل مدينة العهد الجديد المقدسة. ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدسة إلا فيما بعد عام ٥٩٠م، حين أصبح عرش البابا جريجورى العظيم هو مركز السلطة المسيحية وأصبحت لروما الحظوة على القدس، وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة فى السلسلة الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية، مع أنه كان يعد الوريث الإكليركى الشرعى للقديس چيمس شقيق عيسى(٥). ومع ذلك بقيت فلسطين، الأرض المقدسة، تتغلغل فى حياة وخيال مسيحيِّ العصور الوسطى. وكانت الرحلة للأرض المقدسة مطمح كل مسيحى مع ما يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادى أحيانًا. وكان الحجاج إلى فلسطين يعودون وفى جعبتهم قصصٌ عن مشاهدَ رائعة، ويثيرون الرغبة لدى الآخرين

لزيارتها، ولولا حملات الحج الجماعية هذه لكان من المحتمل أن يخبو الاهتمام بالأرض المقدسة تمامًا.

لم تعد فلسطين والقدس محور اهتمام أوروپا المسيحية فى العصور الوسطى إلا عندما تضامنت البابوية والنبلاء فى الحملات الصليبية لاستعادة الأرض المقدسة من الكفرة، سواء أكانوا يهودًا أم مسلمين.

والعداء الشائع لليهود فى أوروپا، كما تشير المؤرخة الصهيونية بربارة تخمان، كان أشد ما يكون عمقًا إبان الحملات الصليبية مع أنه لم يكن واضحًا قبل ذلك[٦]. ويشير مؤرخون آخرون إلى أن المحاربين الصليبيين المسيحيين هم أول من بدأ المذابح اليهودية وهم فى طريقهم إلى فلسطين[٧]، وشهد عهد الحروب الصليبية كذلك بداية نظام الأقليات، وبالتالى عزلة اليهود عن المسيحيين.

لم تكن أوروپا قبل عهد الإصلاح الدينى تعتبر اليهود الشعب المختار الذى قُدِّرَ له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودى مختارًا لأمر ما فإنه اللعنة. وكان اليهود يعتبرون مارقين، ويوصمون بأنهم قتلة المسيح. ولم تكن هناك ذرة من حب عاطفى للمجد القديم للجنس العبرى، كما لم تكن هناك بارقة أمل فى إعادة بعث اليهود روحيًّا أو قوميًّا. ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين. كانت الصهيونية غير اليهودية غائبة تمامًا عن أوروپا فى العصور الوسطى، وكانت إسرائيل تعنى مجرد اسم الديانة، بل وديانة دنيا، ولم يكن هناك أية فكرة من الممكن أن تكون «لإسرائيل» صفات قومية[٨].

الإصلاح الدينى وروح الشعب العبرى

كانت المبادئ البروتستانتية التى وضعتها حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر مغايرة تمامًا للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتوصف هذه الحركة بأنها بعث «عبرى» أو «يهودى» تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى وعن مستقبله بشكل خاص. كان اهتمام حركة الإصلاح البروتستانتى منصبًّا على العالم

obeikandi.com

القادم، وكان ينظر إلى الحياة بمنظار الأبدية، كما ساد الاعتقاد بالمجيء الثانى للمسيح والعهد الألفى السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية[٩].

ومع أن المسيحية كانت نتاجًا لليهودية إلى حد بعيد، وكانت تشتمل على بعض العناصر اليهودية القوية، فإن التغييرات اللاهوتية التى جاءت بها حركة الإصلاح هى التى روجت لفكرة أن اليهود شعب مختار، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين. وكان هناك من قبل ذلك فصل واضح بين شعب العهد القديم العبرى، الذى كان يعتبر مثاليّا، واليهود المعاصرين الذين ينظر إليهم بازدراء، ولكن العبرانيين التوراتيين أصبحوا يُقْرَنُونَ بأبناء دينهم الحديثين فى هذه الفترة. وساد الاعتقاد بين البروتستانتيين أن اليهود المشتتين حاليّا سيجمعون من جديد فى فلسطين للإعداد لعودة المسيح.

وقد ساهم المناخ الدينى الجديد فى القرن السادس عشر، بالإضافة لسلسلة من الهزات السياسية، فى ظهور مثل هذه الأفكار الصهيونية التى ترعرعت فى بيئة مشبعة بروح العهد القديم ومحكومة بتشريع معين. وتطور الاهتمام بالتوراة باعتبارها كلمة الله تحت شعار «العودة إلى الكتاب المقدس». وأصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد. وحلت كلمة الله المعصومة كما جاءت فى الكتاب المقدس، والتى ترجمت إلى لغة الناس العادية محل الكنيسة المعصومة التى يمثلها البابا فى روما «ودُعىَ المؤمنون للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة، وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط»[١٠].

وجاءت البروتستانتية بفكرة إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصى دون فرض قيود على التفسيرات التوراتية، فكان كل بروتستانتى حرًا فى دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل فردى، وهكذا فُتحَ الباب للبدع فى اللاهوت المسيحى، وأصبح التأويل الحرفى البسيط هو الأسلوب الجديد فى التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية.

ومما قوى وعزز النزعة «اليهودية»[١١] لحركة النهضة البروتستانتية إعادة اكتشاف العهد القديم الذى كان عنصرًا أساسيًا فى هذه الحركة؛ لأنه «إذا كان من المشكوك فيه

أن تقوم البروتستانتية دون معرفة العهد القديم، فمن المؤكد أنه لولاه لما اتخذت الكنيسة البروتستانتية الشكل الذى اتخذته»[١٢]، ولا يشكل ما يسمى بالعهد القديم الجزء الأكبر من الكتاب المقدس فحسب، ولكنه يعرف بأنه التوراة اليهودية أو العبرية. وبسبب هذا الإرث المشترك أشار بن جوريون للكتاب المقدس المسيحى بقوله:

إنه «صك اليهود» المقدس لملكية فلسطين... الذى يرجع تاريخه إلى ٣٥٠٠ عام[١٣].

وعندما ترجم الكتاب المقدس للغات القومية أصبح ما ورد فى العهد القديم من تاريخ، ومعتقدات، وقوانين العبرانيين، وأرض فلسطين أمورًا مألوفة فى الفكر الغربى، وغدت قصص وشخصيات العهد القديم مألوفة كالخبز، وأضحى كثير من البروتستانت يرددونها عن ظهر قلب. وأصبح المسيح نفسه معروفًا كواحد من سلسلة طويلة من الأنبياء العبرانيين. وحل أبطال العهد القديم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب محل القديسين الكاثوليك.

وأصبحت فكرة أن الحج للقدس يكفر الخطايا مرفوضة، كما أنكرت شفاعة القديسين وتبجيل رفاتهم. لكن ذلك لم ينس الناس الأرض المقدسة، بل إنها حظيت بأهمية جديدة حيث ارتبطت بدلالات صهيونية. وكانت فلسطين، باعتبارها أرض الشعب المختار، ماثلة فى الخيال البروتستانتى والطقوس البروتستانتية، وأصبح الربط بين الأرض وأهل الكتاب يرد فى الطقوس والشعائر البروتستانتية، بل وفى الأسماء التى كان البروتستانت يطلقونها على أبنائهم[١٤]. وهكذا أصبحت فلسطين أرضًا يهودية فى الفكر المسيحى فى أوروبا البروتستانتية، وأصبح اليهود هم الفلسطينيين الغرباء فى أوروبا، والذين سيعادون إلى فلسطين عندما يحين الوقت المناسب.

وعندما أصبح ذلك جزءًا من طقوس العبادات والصلوات فى الكنيسة، اتخذت التعاليم الصهيونية غير اليهودية شكلاً ثابتًا، وحظيت بمكانة راسخة فى ضمير أوروبا القومى.

كان كل يوم أحد يعيد إلى ذهنه «مفخرة كل البلاد» ؛ تاريخها القديم وازدهارها المفقود، فى الوقت الذى يشهد فيه الدمار القائم هناك بصدق الكتاب المقدس والبركات الموعودة. . . وقد ساهمت الأوصاف التى وردت فى التوراة عن الأرض المقدسة فى نشر ما يمكن أن نسميه الفكرة الصهيونية[١٥].

لم يعد العهد القديم أكثر الآثار الأدبية شيوعًا بين عامة البروتستانت فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التاريخية العامة، وكانت هذه هى الفترة التى بدأت فيها عملية التزوير التاريخى. وقد وجد التزوير الصهيونى الحالى للتاريخ الذى يدعى «حقّا تاريخيّا» فى فلسطين مادته المسيحية فى التمسك بحرفية الكتاب. وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يقلص بشكل تدريجى إلى أن اقتصر على القصص المتعلقة بالوجود اليهودى وحده، وأصبح الأوروبيون مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن هناك فى فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة فى العهد القديم، والتى لم تعد تؤخذ على حقيقتها، بل اعتبرت تاريخًا صحيحًا.

ولما كان التعليم الذى يتلقاه معظم الناس يتكون أساسًا من قراءة الأدب التوراتى، فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودى، فلا هجرة سوى هجرة إبراهيم، ولا وجود لمملكة غير مملكة داود التى سبقتها وتلتها ممالك كثيرة، ولم يعد الناس يذكرون من الثورات إلا ثورة المكابيين. وكان يبدو وكأن لا وجود للشعوب الكثيرة التى استوطنت وعاشت فى فلسطين، مع أن معظمها عاش فترات أطول من اليهود. لقد كان هذا التلاعب بالتاريخ بدعة من بدع فترة الإصلاح الدينى ؛ إذ لم يكن استيلاء اليهود على فلسطين أمرًا يدور فى أذهان حجاج القرون الوسطى[١٦].

العبرية والثقافة الغربية

إن الوزن الكبير الذى أعطته حركة الإصلاح الدينى للغة العبرية، باعتبارها اللسان المقدس «Leshon Ha Hodesh» واللغة التى أوحى الله بها لشعبه[١٧]، يعد ذا أهمية كبرى فى تطور الصهيونية المسيحية فى عهد ما بعد الإصلاح الدينى.

وكانت الكنيسة الكاثوليكية حتى ذلك الوقت قد أبقت اللغة اللاتينية حية؛ إذ كانت ترجمة جيروم اللاتينية للكتاب المقدس، مقدسة؛ وكانت الأساطير الكاثوليكية التقليدية ترى أن دراسة العبرية، أو حتى اليونانية، تسلية الهراطقة. وكان تعلم العبرية في نظر الكثيرين «بدعة يهودية»(١٨). وقد اتخذت خطوات عنيفة لاجتثاث دراسة العبرية في عهد الفلسفة النظرية السائدة في القرون الوسطى. وكان من يتقن ثلاث لغات يتحدث اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، لكن الأمر تغير في عهد النهضة، فقد أصبح العالم يتقن اللاتينية واليونانية والعبرية، وسرعان ما أصبحت معرفة العبرية، جزءًا من الثقافة الأوروبية العامة، بل إن حركة الإصلاح جعلتها جزءًا من المنهج الدراسي اللاهوتي.

كان تمسك حركة الإصلاح الديني بحرفية الكتاب المقدس هو الذي أثار اهتمامها باللغة العبرية، فلكي تفهم كلمة الله بشكل صحيح، كما أوحى بها في النصوص المقدسة، كانت معرفة اللغة الأصلية أمرًا لا مندوحة عنه، وأصبح العلماء والمصلحون مضطرين لمعرفة العهد القديم بلغته الأصلية.

وقبل نهاية القرن السادس عشر، أخذت الحروف العبرية تستعمل في الطباعة، ولم تعد معرفة العبرية مقتصرة على كتب العهد القديم، بل انكب المسيحيون العاديون ورجال الدين على دراسة أدب الأحبار، وأصبحت العبرية:

> **مسألة ثقافة واسعة كما هي مسألة دين، وسرعان ما تحولت معرفة الأدب العبري، أو الإلمام بشيء منه على الأقل، من دراسة ترجمة أشعار العهد القديم غير الصحيحة وغير المترابطة، إلى معرفة هذه الكتب بلغتها الأصلية والتبحر في عالم الفكر العبري الذي لم يكن مكتشفًا من قبل(١٩).**

وكان للقبالانية المكان الأول من بين النصوص العبرية التي كانت تدرس بعناية خلال عصر النهضة والإصلاح الديني.

والقبالانية هي مجموعة من الكتابات الباطنية الدينية التي تتضمن تعليقات عن العهد القديم، والتي انبثقت من الجانب الباطني لليهودية، وكان الأدب القبالاني يعد

مجموعة من كنوز الحكمة القديمة، كما كانت باطنية القبالانية تعتبر تحولاً جذريًا عن النظام اللاهوتى العقيم الذى كان معروفًا فى العصور الوسطى. وصار كتاب چوهان روشلن «فن القبالاه» عام (١٥١٧م) من أكثر الكتب رواجًا، وكان معظم أهل الفكر الأوروپيون، سواء رجال الدين أو العلمانيون، يرجعون إليه فى أعمالهم الأدبية. وقد خلب الكتاب ألباب كثير من المصلحين الپروتستانت، وبخاصة بعض رجال الحركات الباطنية المختلفة، وكانوا يحاولون استعمالها فى تعاليمهم عن الشئون الأخروية[٢٠].

كان هذا الإعجاب الجديد بالعبرية كلغة يقترن فى أذهان كثير من المجموعات والفرق الپروتستانتية بإعجاب بالمبادئ والقيم اليهودية، وخير مثال على ذلك إنجلترا الپيوريتانية، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى موضوع لاحق من هذا الفصل. لقد أدى الإعجاب بالماضى اليهودى إلى احترام اليهودية المعاصرة، وكان من نتائج ذلك أن ازداد التسامح فى الأراضى الواقعة تحت النفوذ السياسى الپروتستانتى كما يتضح من حالة الأراضى المنخفضة التى كانت تحت حكم أسرة أورانج. لقد كانت أمستردام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر تعرف بين يهود أوروپا بأنها القدس الجديدة[٢١]، وقد وضع هوجو جرويتوس ـ وهو عبرانى معروف وفيلسوف ورجل دين ومحام، ويعد واضع القانون الدولى العام ـ المصادر المشتركة بين المسيحية واليهودية فى بحثه «حقيقة الدين المسيحى ـ Ueber die Warheit der Christlichen Religion» وعارض بشدة احتقار المسيحية لليهودية واعتبارها دينًا وضيعًا.

تسربت الروح العبرية الجديدة كذلك إلى الفنون والآداب، وتركت بصماتها الخالدة على الحضارة الأوروپية، فقد أصبح رمبرانت ومعاصروه من الفنانين يرسمون ويحفرون مناظر من الكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم. وفى مجال الأدب حل نوع جديد من الدراما المبنية على قصص وتفسيرات العهد القديم محل المسرحيات التى كانت تمثل حياة القديسين، والتى كانت شائعة فى العصور الوسطى، وأصبحت الشخصيات التى ورد ذكرها فى العهد القديم تبدو على أنها شخصيات تحتذى فى أخلاقها. وانصب التركيز على العهد القديم كمصدر للتعاليم الأخلاقية أكثر منه مصدرًا للعقيدة أو الدين.

لم يتضح بعد كيف أثرت اليهودية والعبرية فى عقل أوروپا الحديثة[٢٢]. ومع أن الحقائق متوافرة للجميع، فإن أحدًا لم يحاول جمعها معًا ليظهر كيف تجمعت لتشكل

بدايات الحب لليهود فى أوروبا، والذى تمخض عما نسميه ظاهرة الصهيونية غير اليهودية.

البعث اليهودى والألفية المسيحية السعيدة

من بين النتائج الواضحة للإصلاح الدينى البروتستانتى ظهور الاهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان. وكان جوهر «العصر الألفى السعيد» هو الاعتقاد بالمجىء الثانى للمسيح؛ ليقيم مملكة الله على الأرض، والتى ستدوم ألف عام. واعتبر المؤمنون بالعصر الألفى السعيد مستقبل الشعب اليهودى أحد الأحداث الهامة التى تسبق نهاية الزمان. والواقع أن التفسير الحرفى لنصوص سفر الرؤيا(٢٣) قادهم إلى الاستنتاج بأن عودة اليهود كأمة «إسرائيل» إلى فلسطين هى بشرى الألف عام السعيدة، لكن تحول اليهود للمسيحية عنصر مهم لتحقيق ذلك، بل إن بعض الفرق كانت تصر على اعتناق اليهود للمسيحية قبل بعثهم، بينما اعتقد آخرون أن ذلك سيتم بعد عودتهم لفلسطين.

طوال تاريخ الكنيسة المسيحية، استمر الاعتقاد الأخروى بعودة المسيح السريعة، وشاع ذلك الاعتقاد فى القرن الأول الميلادى، وكان يظهر بين فينة وأخرى خلال فترات الاضطراب السياسى والاجتماعى. ولكن الأمر الذى ينبغى ألا يغرب عن البال، أن فكرة نهاية الزمان كانت مدمرة وتعتبر تهديداً لأمن الكنيسة فى العصور الوسطى(٢٤).

وبعد أن أصبحت المسيحية هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية عام ٣٨٠م، عقد القساوسة الأوائل، من أمثال: أوريجون وأوجسطين، العزم على استئصال شأفة أفكار وتوقعات المؤمنين بالعصر الألفى السعيد. ويبدو أن أوجسطين وضع حدّاً لهذه المشكلة فى كتابه «مدينة الله» حتى القرن السادس عشر على الأقل، فقد فسر أوجسطين فكرة العصر الألفى السعيد مجازاً بأنها حالة روحية وصلت إليها الكنيسة فى عيد العنصرة؛ أى بعد موت المسيح وبعثه.

وكانت حركة الأقليات شبه الطائفية التى سبقت عهد الإصلاح الدينى، والتى كانت تعبر عن حنينها للعصر الألفى السعيد مضطرة للبقاء سرية بسبب اضطهاد الكنيسة فى روما لها واعتبار تعاليمها كفراً(٢٥).

لم تتعمق حركة بعث الشعب اليهودى فى تعاليم هذه الحركات التى كانت تنتظر اعتناق اليهود للمسيحية سريعًا[٢٦]. ومع أن فكرة العصر الألفى السعيد لم تسد حتى فى أوساط الفئات البروتستانتية الرئيسة (حيث استمر لوثر وكالفين مثلاً على التمسك بتعاليم أوجسطين حول هذه الفكرة) إلا أنها ظهرت فى أوساط الجماهير، وتسربت أفكارها إليهم. واستمرت هذه الحركة فى استقطاب أنصار لها فى كل فترات التاريخ التى تلت حركة الإصلاح الدينى إلى أن بلغت ذروتها فى القرن العشرين فى مذهب العصمة الحرفية للكتاب المقدس بين المسيحيين الأصوليين فى أمريكا، الذى يصر على أن إسرائيل هى التحقيق الواقعى للنبوءة فى العصر الحديث.

العصر الألفى السعيد فى عهد النهضة

أفرزت حركة الإصلاح الدينى عقلية وجدت نفسها مفتونة بهذا التاريخ الحى. وكان يعتقد أن حركة الإصلاح نفسها نقطة تحول تشير إلى قرب نهاية الزمان. وقد أثبتت أوروبا، والتى كانت تحت وطأة الحروب الطاحنة لعدة قرون، أنها أرض خصبة لمثل هذه العلامات الأخروية. وكان الاضطهاد الشديد الذى يتعرض له كثير من الفرق البروتستانتية على يد الكنيسة الرسمية يفسر على أنه علامة أخرى من علامات نهاية الزمان. فى هذا الإطار حظيت النبوءات التوراتية الكثيرة عن مستقبل إسرائيل بأهمية كبرى، وغدا كثير من الفرق مقتنعًا بأن تحقق النبوءات يشمل اليهود المعاصرين بشكل أو بآخر.

وفى نهاية القرن السادس عشر - تقريبًا - ظهر أول أثر أدبى مطبوع عن التفكر فى العصر الألفى السعيد وبعث اليهود، وانتشر فى أوروبا، وبخاصة فى الجزر البريطانية؛ حيث كانت حركة الإصلاح الدينى قد وطدت أقدامها منذ أن انفصل الملك هنرى الثامن عن روما، وكانت بعض الطوائف تعبر عن آمالها بالمسيح المنتظر فى القارة الأوروبية، لكنها كانت تضطهد بعنف باعتبارها قوى مارقة، حتى إن مايكل سيرفتس (١٥٠٩ - ١٥٥٣م) أُحْرِقَ حيًا لاتهامه بأنه «يهودى» معاد للثالوث، وفى عام ١٥٨٩م، لقى فرانسيس كت المصير نفسه فى إنجلترا. وكان الرجلان من الموحدين، وكتبا عن بعث اليهود. وكان كل منهما يرى أن شعب الله المختار يعنى حرفيًا الشعب اليهودى.

أما فى هولندا وسويسرا، فقد بقيت بعض هذه الفرق على قيد الحياة، وكان الثمن

الذى دفعته خضوعها لأوامر الكنيسة . وفى ألمانيا قُمعَتْ هذه الحركات عندما أصبحت اللوثرية نداً للكاثوليكية وتحالفتا مع النظام القائم . أما فى إنجلترا الأنجيليكانية ، فلم تُقْمَعْ حركة البعث اليهودى بسهولة . ومع أن السلطات الدينية والدنيوية الحاكمة آنذاك كانت تقمع الفكرة الجديدة بشدة ، إلا أن هذه العقيدة سرعان ما حظيت باحترام كبير فى الأوساط الدينية الإنجليزية .

لم يكد يمر عقد على مصير «كت» التعس الذى اعتبر واحداً من المارقين المؤمنين بالعصر الألفى السعيد حتى ظهر توماس برايتمان (١٥٦٢ ـ ١٦٠٧م) وهو عالم لاهوت ذو شأن ، وتناول الموضوع الذى كان يلمح له «كت» بشكل مفصل ، فقد كتب مباشرة عن البعث اليهودى فى كتابه «Apocalypsis Apocalypscos» وقال : إن اليهود كشعب سيعودون ثانية إلى فلسطين وطن آبائهم الأوائل «لا من أجل الدين ، كما لو أن الله لا يمكن أن يعبد فى مكان آخر ، بل لكيلا يكافحوا كغرباء ونزلاء لدى الأمم الأجنبية»(٢٧) .

وكان لبرايتمان ، الأب الروحى لعقيدة بعث اليهود البريطانية ، أتباع كثيرون من معاصريه من بينهم أعضاء فى البرلمان . وقد وافق أحد هؤلاء ، وهو السير «هنرى فنش ـ Henry Finch» الذى يعد حجة القانون فى عصره ، على ما جاء فى كتاب برايتمان ، ونشر فى عام ١٦٢١م كتابه المثير للجدل «البعث العالمى الكبير ، أو عودة اليهود و(معهم) كل أمم وممالك الأرض إلى دين المسيح» وجاء فى هذا الكتاب :

> **حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون والقدس (فى الكتاب المقدس) فإن الروح المقدسة لا تعنى إسرائيل الروحية أو كنيسة الله التى تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما معًا ، ولكنها تعنى إسرائيل التى انحدرت من صلب يعقوب . وينطبق الشىء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصارهم على أعدائهم . . سيقيمون الكنيسة المجيدة فى أرض يهودا نفسها . . . هذه التعبيرات وأمثالها ليست مجازات وأقوالاً تفوه بها المسيح ولكنها تعنى اليهود فعلاً وقولاً(٢٨) .**

ورفض «فنش» بشكل قاطع تفسير أوجسطين المجازى ، وأصر على أن الله كان

يعنى، طبقًا للنبوءة التوراتية، إعادة اليهود جماعيًا وقوميًا إلى وطنهم السابق بشكل فعلى:

إنها ليست قلة مبعثرة هنا وهناك، بل.. الأمة بشكل عام. سيعودون إلى وطنهم... وسيعمرون كل أجزاء الأرض كما عمروها من قبل.. سيعيشون بسلام وسيبقون هناك للأبد(٢٩).

لقد كانت نبوءته فريدة من نوعها، وذلك أنها تضمنت وصفًا للمستقبل الذى استعادته إسرائيل. «إن ما كان يميز نبوءة فنش هو مزجه بين الدين والسياسة كما عبر عنها فى رؤية الكومنولث اليهودى المستعاد. وهنا نرى تصورًا للحكومة الدينية التى تعتبر حقيقة واقعة فى أرض إسرائيل المحررة»(٣٠). لقد استعمل فنش التعبيرات الصهيونية بذكاء؛ ليستميل اليهود وغيرهم لخطته العظيمة، ومع ذلك فقد كانت صهيونيته فجة؛ ولذا فإن معاصريه من اليهود لم يروا ما يدعوهم لمشايعة دعوته، وبالتالى فإنه لم يتمكن من الحصول على رضا مواطنيه وإخوانه فى الدين.

وقد حمل الملك چيمس الأول (١٦٠٣ ـ ١٦٢٥م) أفكار العصر الألفى السعيد على محمل الجد، واعتبرها انتهاكًا شخصيًا واعتداءً على حقوقه الخاصة كحاكم مطلق، واضطر فنش للتراجع، كما تعرضت تعاليمه للنقد حتى فى البرلمان حيث انطلقت تحذيرات بعض الأعضاء من أنبياء متهودين جدد يطالبون بالبعث اليهودى(٣١). ولكن جذور هذه الأفكار الصهيونية رسخت فى الحياة الروحية لإنجلترا وانبعثت من جديد، ووصلت إلى عصرها الذهبى فى العهد الپيوريتانى اللاحق، على الرغم من الاستياء العام الذى واجهته فى بداية القرن السابع عشر.

كانت الأفكار الصهيونية عن العصر الألفى السعيد لا تزال تدرج فى مراحلها الأولى، ولكن نواتها كانت موجودة فى اعتناق أفكار معينة من حركة الإصلاح البروتستانتية، وقد بقيت الصهيونية غير اليهودية خلال هذه الحقبة محصورة فى مجال التأملات الروحية والنقاش اللاهوتى، لكن العناصر الأساسية لموالاة السامية ومعاداتها كانت موجودة فيها، وكان هناك مزج غريب بين هذين التيارين اللذين يبدوان متناقضين.

كان المصلحون الأوائل يظهرون الحب لشعب الله المختار، ولكنه لم يكن حبّا نابعًا من قلقهم على اليهود، بل لدورهم المرسوم لهم فى خطة الله كما أوحى بها وعده لهم. وكان تحول اليهود للمسيحية لا يزال الهدف النهائى[٣٢]. لذلك فقد كان فنش يرى أن هذا الأمر سيتم على أسس مسيحية رغم تفكيره بمستقبل زاهر للشعب المختار. وقد حدد ذلك بوضوح فى مقدمة «البعث العالمى العظيم»:

> **إن الله وهو يتغاضى عن أيام خطيئتكم يدعوكم بكل وسيلة للتوبة، وهدفه أن يجمعكم من كل الأماكن التى تفرقتم فيها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، وأن يعيدكم إلى وطنكم ويضمكم إليه عن طريق الإيمان إلى الأبد[٣٣].**

كانت الصهيونية غير اليهودية مفعمة بنغمات معادية للسامية التى بقيت عنصرًا أساسيّا مميزًا فى المبادئ الصهيونية غير اليهودية.

مارتن لوثر والروح التهودية

يحتاج مارتن لوثر إلى تحليل أكثر عقمًا ودقة بسبب موقفه المتميز فى البروتستانتية. لقد اعتبره البعض محبًا للسامية أحيانًا ومعاديًا لها، بل ومبشرًا بالنازية الألمانية اللاسامية فى أحيان أخرى[٣٤]؛ بسبب مواقفه من اليهود المتناقضة تمامًا والمثيرة للجدل.

كان مارتن لوثر، كمؤسس وزعيم لحركة الإصلاح البروتستانتى، مسئولاً إلى حد بعيد عن ظهور مناخ القرن السادس عشر الروحى والدينى الجديد الذى أوجد أرضًا خصبة للأفكار الصهيونية الأولى. ومما يظهر ميوله اليهودية حماسه لدراسة اللغة العبرية، وتفضيله المبادئ اليهودية البسيطة على تعقيدات اللاهوت الكاثوليكى، وتأكيده على تمركز الكتاب المقدس فى الحياة المسيحية. وبالتالى:

> **فلم يترك أعداؤه من البابويين فرصة إلا واغتنموها لوصمه بأنه «يهودى» و«راع يهودى». أما مبادئه، وبخاصة هجومه العنيف على**

الأشكال الوثنية، وعبادة الآثار والتماثيل والأيقونات المقدسة فقد جعلته يوصف بأنه «شبه يهودى» أو «نصف يهودى»(٣٥).

ومن ناحية أخرى كان لوثر يتهم خصومه فى حركة الإصلاح بالتهود، وبخاصة علماءُ اللغة والدراسات العبرية الليبراليين فى الجامعات الألمانية الذين كانوا يوجهون النقد لترجمات لوثر للعهد القديم العبرى(٣٦). ويمكن تقسيم كتابات لوثر عن اليهود إلى فترتين متميزتين: ما قبل عام ١٥٣٧م وما بعده، ففى عام ١٥٢٣م كتب لوثر «عيسى ولد يهوديًا» والذى أعيد طبعه سبع مرات فى العام نفسه. وقد شرح فى هذا الكتيب المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجًا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد:

شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم: إنهم الأطفال ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، تمامًا كالمرأة الكنعانية(٣٧).

لكن الفقرات الأخيرة تظهر بشكل قاطع أن هدف لوثر النهائى، هو تحول اليهود للمسيحية، أى البروتستانتية:

إننى أنصح وأرجو كل شخص أن يكون لطيفًا فى تعامله مع اليهود، وأن يعلمهم الكتاب المقدس، وعندها نتوقع منهم أن يأتوا إلينا. أما إذا استعملنا العنف الوحشى وألحقنا بهم الإهانات قائلين إنهم بحاجة لدعم المسيحيين للتخلص من نتنهم وغير ذلك من السخافات، وإذا بقينا نعاملهم كالكلاب فأى خير نتوقعه منهم؟ كيف نتوقع منهم أن يكونوا أفضل مما هم إذا كنا نحول بينهم وبين العمل معنا، ونرغمهم بذلك على الربا؟ إذا أردنا أن نجعلهم خيرًا مما هم، فعلينا أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحى، لا قانون البابا. علينا أن نحسن وفادتهم، وأن نسمح لهم بالتنافس معنا لكسب عيشهم؛ لتتاح لهم الفرصة لمشاهدة الحياة والعقيدة المسيحية، وإذا أصر بعضهم على عناده فما الضرر فى ذلك؟ نحن لسنا جميعًا مسيحيين صالحين(٣٨).

وكان لوثر، كنصير متحمس لبولس، يؤمن بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل كأمة ستتحقق، وكان يلوم البابوية لتحريفها المسيحية وصدها بذلك اليهود عن اعتناقها.

لكن موقف لوثر من اليهود أصبح أكثر قسوة فى الجزء الثانى من حياته، فقد أثارت حفيظته الأنباء القائلة إن اليهود كانوا يجمعون الأنصار لعقيدتهم فى مورافيا بدلاً من أن يتحولوا للمسيحية. وفى عام ١٥٤٤م، ألف كتابه «فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم»[٣٩] لمواجهة هذه التحديات الموجهة للوثرية. وقد تداخلت الصهيونية واللاسامية فى هذا الكتاب بشكل غريب (وإن كان ذلك أمرًا عاديًا فى عرف الصهيونية غير اليهودية):

من الذى يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم فى يهودا؟ لا أحد.
إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشىء إلا لنتخلص منهم.
إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا[٤٠].

وكثيرًا ما تستشهد الدراسات التى تتناول تاريخ اللاسامية بفورات غضب لوثر الفظة المعادية للصهيونية، والتى يبدو فيها الرجل الممثل الحقيقى لما يمكن أن نطلق عليه اللاسامية فى القرون الوسطى[٤١]. لكن المأثور عن لوثر أنه لم يكن مهذبًا فى ألفاظه، وبخاصة حين يهاجم أعداءه، فاللجوء للتعابير الفظة، بل والقذرة، كانت سمة مميزة لأسلوبه وشخصيته البذيئة. وقد كانت عباراته العامية المعادية للكاثوليكية والفرق البروتستانتية المنافسة له تفوق فى ضراوتها عباراته اليهودية. ولم يكن لوثر مثالاً للتسامح الدينى، بل مثالاً لعدم التسامح الذى يصل أحيانًا إلى حد التعصب.

ومع ذلك، فإن حركة الإصلاح التى وضعها بتحديه الصريح للسلطة الدينية القائمة كانت تبشر بعهد جديد من التسامح الذى كان له تأثير إيجابى فى الحياة اليهودية. لم تعد الكنيسة الكاثوليكية تدعى بأنها عالمية، ولم يعد اليهود يُنْبَذُونَ باعتبارهم الدخلاء الوحيدين. وللمرة الأولى لم يعد اليهود أشد الأقليات الدينية اضطهادًا؛ إذ واجهت مجموعات مسيحية منشقة كالمعمدانيين وفرق بروتستانتية أخرى المصير نفسه. وخلال الحروب الدينية أصبح ما يتعسر تحقيقه بالعقل والإدراك السليم يُحَلُّ فى ميدان المعارك. وقد تضافر سلاح أوجسبرج عام (١٥٥٥م)، ومجلس ترنت (١٥٤٧ ـ ١٥٦٣م)، ومعاهدات وستفاليا عام (١٦٤٨م) على جعل المجتمع الأوروبى علمانيًا، وانبثق التسامح عن الضرورة السياسية.

معتقدات الصهيونية البروتستانتية

تكمن أهمية حركة الإصلاح الدينى بالنسبة للصهيونية غير اليهودية فيما حققته بدون قصد وبشكل لا شعورى أكثر مما حققته بأهدافها وإنجازاتها المباشرة. كانت العقيدة الأساسية للصهيونية قد أقيمت على أسس واضحة محددة، فخلال القرن السادس عشر تم التأكيد على شخصية اليهود كأمة، ولم يعودوا «كنيسة» كالكنائس الأخرى أو عقيدة دينية. وقد أحدث نشر النصوص التوراتية بشكلها الأصلى، والذى لم يكن مشوبًا بالتفسيرات الكنسية الرسمية، ثورة فى الفكر المسيحى البروتستانتى، وبذلك أتاح لبعض البروتستانت أن يضفوا على الكتاب المقدس صبغة سياسية.

ومن المفارقات أن اليهود أنفسهم كانوا يحاولون خلال هذه الفترة أن يجردوا الكتاب المقدس من الصبغة السياسية، ففكرة المسيح المنتظر بين اليهود، والتى كانت مرتبطة بشكل وثيق بحركة الإصلاح الدينى، كانت تعارض التدخل البشرى أو الدنيوى لتحقيقها، وتتوقع بدلاً من ذلك أن تتحقق عن طريق التدخل السماوى(٤٢).

وتكمن أهمية الإصلاح فى تمهيده الطريق للأفكار الصهيونية عن الأمة اليهودية، والبعث اليهودى، وكون فلسطين وطنًا لليهود، وهى الأفكار التى لقيت رواجًا فيما بعد. وقد رسخت الصهيونية غير اليهودية فى القرن السادس عشر حين أصبحت معتقداتها الدينية جزءًا من طقوس الكنيسة، ومن ثم شاعت فى الحياة الثقافية اليومية. وكان للصهيونية غير اليهودية ممثلون مرموقون فى كل فترة من فترات التاريخ التى أعقبت حركة الإصلاح الدينى، وتحولت من عقيدة لاهوتية إلى أيديولوچية سياسية للغرب المعاصر.

البيوريتانية الإنجليزية وبعث المملكة القديمة

وصلت النهضة العبرية، بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية ضمنًا، إلى ذروتها فى عهد الثورة البيوريتانية فى إنجلترا فى القرن السابع عشر. وكانت البيوريتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفًا، كما كانت الوريث المباشر للكالڤينية. وقد غالى البيوريتانيون فى إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم تمامًا كما كانت الحال فى چنيف فى عهد الكالڤينيين.

وكان البيوريتانيون يجمعون بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى. وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجمًا عن الاضطهاد الذى قاسوه على يدى الكنيسة الرسمية. وكانت معلوماتهم عن الحياة اليهودية ضحلة؛ لأن الملك إدوارد الأول الصليبى كان قد أبعدهم، ولو رسميًا على الأقل، عن إنجلترا عام ١٢٩٠م.

كانت معلومات البيوريتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية وبالتالى التماثل، بينهم وبين شعب الله.

> **خلال تجارب الاضطهاد المرة والحرب الأهلية، وجدوا فى العهد القديم بشكل خاص اللغة والأحاسيس التى تنطبق عليهم وتناسبهم تمامًا. كانت تجربة حقيقية للصراع الدينى والسياسى والاضطهاد؛ تلك التى جعلت مجازات العهد القديم محتملة الصحة. ودفعتهم لاستعمال لغته والأسماء الواردة فيه باعتبارها أنسب أداة لنقل أفكارهم العنيفة(٤٣).**

كانت إنجلترا فى القرن السابع عشر فيما بعد العهد الإليزابيثى بيئة ملائمة جداً لانتشار الأفكار الصهيونية بين غير اليهود، ولكن علينا، ونحن ندرس مدى مساهمة البيوريتانية فى الصهيونية، ألا ننسى البيئة العامة التى استطاعت الصهيونية الإنجليزية البيوريتانية أن تترعرع فيها. لم تكن الثورة البيوريتانية معزولة عن التاريخ الإنجليزى، كما أنها لم تكن مجرد حلقة فى سلسلة ما يسمى التقاليد الإنجليزية كما يحلو لبعض الكتّاب الصهيونيين أن يصوروها(٤٤). لقد كانت البيوريتانية هى حركة الإصلاح الدينى التى وصلت إلى خاتمتها المنطقية. وعندما تضاءل شأن البيوريتانية مع عودة تشارلس الثانى للعرش عام ١٦٦٠م فإن مثلها العليا، بما فى ذلك تلك التى تؤيد الصهيونية، استمرت سائدة فى إنجلترا والقارة الأوروبية، ومن هناك انتقلت إلى العالم الجديد.

ومع بداية القرن السابع عشر، كانت حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى أشد ما تكون رسوخًا فى إنجلترا؛ حيث حلت فترة جديدة من الصراع الروحى والفكرى محل الثقافة الإليزابيثية المرحة والمفعمة بالحيوية العاطفية، وهذا هو الذى يشار إليه عادة

بالثورة البيوريتانية. ولقد نتج عن إعادة اكتشاف الكتاب المقدس ظهور النسخة الإنجليزية المعروفة بنسخة الملك چيمس، كما أن فتح آفاق الأدب التوراتي أدى إلى انتشار التأويلات التوراتية الجدلية. وكان جوهر العقيدة البيوريتانية مرتبطًا بالحق في التأويل الشخصي، وكانت إنجلترا واحدة من أوائل دول الإصلاح الديني التي نبذت السيادة الكنسية والبابوية من هذه الزاوية.

العبرية في الحياة اليومية

جلبت البيوريتانية لإنجلترا الغزو «العبري» اجتماعيًا وفكريًا، والذي اجتاح القارة الأوروبية. وأصبحت العبرية أمرًا محسوسًا على المستوى الشعبي وفي حياة الأمة اليومية. وقد وجد البيوريتانيون في العهد القديم «مثالاً سماويًا للحكومة الوطنية ودلالة واضحة للقوانين التي يجب على البشر اتباعها. وإذا عصوها فالعقوبة ماثلة للعيان وآنية»(٤٥). وكان البيوريتانيون، كأتباع كالڤين، يستشهدون بالعهد القديم لدعم أفكارهم السياسية، وأصبح كومنولث القديسين في چنيف هو جمهورية القديسين البيوريتانية.

أصبح العهد القديم كتابهم الوحيد الذي ليس لهم كتاب سواه. «كان أدبهم الوحيد» وغذاءهم الفكري والروحي، ومرشدهم، وفيلسوفهم، وصديقهم، وحجتهم القانونية، ومحكمة استئنافهم العليا. لقد تشكل فكرهم تبعًا له(٤٦) وكان جهل البيوريتانيين بحياة اليهود المعاصرين قد دفعهم إلى اتباع مواعظ العهد القديم التي هجرها اليهود أنفسهم منذ عهد بعيد(٤٧)، وتغلغلت التعابير العبرية في الحديث الإنجليزي، بل إن بعضهم كان يعتبر العبرية اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس.

وقد اقترح چون ملتون، الشخصية الأدبية البيوريتانية البارزة، في مقاله عن التعليم، أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية. وظهر تفضيل البيوريتانيين للعهد القديم في العادات اليومية. «كانت النزعة العامة للبيوريتانيين هي التخلي عن المبادئ الخلفية المسيحية والاستعاضة عنها بالعادات اليهودية»(٤٨). «اتبع البيوريتانيون نص القانون القديم بدلاً من الركون للتعبيرات الصادرة عن فهم للتعاليم السماوية»(٤٩)، وطالبت مجموعة «اللفلرز - Levellers» -

وهى مجموعة جمهورية متطرفة من البيوريتانيين ـ الحكومة بأن تعلن التوراة(٥٠) دستوراً للقانون الإنجليزى. وبعد أن حل كرومويل «البرلمان الطويل» عام ١٦٥٣م، استبدل به «البرلمان القصير» المكون من القديسين فقط، أى البيوريتانيين، وكان مجلس الدولة يتكون من سبعين عضواً أسوة بعدد أعضاء السنهدريم (المجلس الأعلى اليهودى القديم).

لم يعد الأطفال يعمدون بأسماء القديسيين المسيحيين المحبوبين، بل أخذوا يحملون أسماء المقاتلين والبطارقة العبرانيين «وحولوا الاحتفال الأسبوعى الذى كانت تقيمه الكنيسة منذ زمن بعيد وتحتفل فيه بذكرى بعث المسيح إلى السبت اليهودى»(٥١). وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتنق اليهودية كما فعل چون تراسك وجميع أتباعه، وبعض الشخصيات المهمة كالفنان والرسام الشهير ألكسندر كوبر(٥٢). أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون «بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم اسم شعب الله القديم»(٥٣).

وكان من المستحيل أن يتشرب المرء تاريخ العهد القديم، وأن يسترجعه كوحى سماوى، ويعيش معه كمرشد يومى ولا يحترم الشعب المسئول عن ذلك كله. وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودى المختار تؤدى دوراً متميزاً فى الفكر الإنجليزى البيوريتانى والنظام القائم.

العودة اليهودية إلى فلسطين

أصبحت فكرة ضرورة إعادة فلسطين لأصحابها العبريين شائعة فى إنجلترا فى أربعينيات القرن السابع عشر. وكانت فلسطين قبل ذلك التاريخ تعيش فى أذهان المسيحيين على أنها أرضهم المقدسة التى دافع عنها الكثيرون من الإنجليز إبان حملاتهم الصليبية ضد المسلمين الكفرة. أما وقد جردت فلسطين من دلالاتها المسيحية فقد أصبحت تعتبر وطن اليهود الذين كانت عودتهم إليها هى المقدمة الحتمية لعودة المسيح المنتظر تبعاً لنبوءات العهد القديم.

ولم يمض وقت طويل حتى شهدت إنجلترا البيوريتانية حركة منظمة تنادى بعودة اليهود إلى فلسطين. وعندما كتب المؤمنون بالعصر الألفى السعيد: «من أمثال فنش،

وكت، ويرايتمان عن البعث اليهودى فى نهاية القرن» كان اليهود قلة ينظر إليهم بازدراء. أما الآن، وقد أصبحت البيوريتانية بإيمانها بالعصر الألفى السعيد فى مركز القوة، فقد لقيت فكرة البعث اليهودى قبولاً على نطاق واسع.

وفى عام ١٦٤٩م، أرسل الاسترحام التالى للحكومة الإنجليزية:

ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضى المنخفضة أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التى وُعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدى[٥٤].

وكان اللذان بعثا الاسترحام هما «جوانا، وأيبنزر كارترايت ـ Joanna and Ebenezer Cartwright» الإنجليزيين البيوريتانيين المقيمين فى أمستردام[٥٥]. وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ فكرة البعث اليهودى التى يقدم فيها عمل من صنع البشر على أنه الطريق الوحيد لتحقيق الهدف الذى كان يعتبره اليهود وغيرهم أمراً روحيًا لا يتحقق إلا بتدخل العناية الإلهية.

ومما أكد جدية هذا الاسترحام أنه تضمن طلبًا بأن تقوم الحكومة الإنجليزية بإلغاء قانون النفى الذى وضعه إدوارد، والسماح لليهود بدخول إنجلترا. وسارت فكرة البعث اليهودى مع فكرة إعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا جنبًا إلى جنب. وكان تفسير فقرات معينة من العهد القديم «التى تتضمن أن تشتت اليهود قبل بعثهم شرط ضرورى لخلاص إسرائيل النهائى وعودة المسيح» تؤكد هذا التناقض الظاهرى[٥٦]. وهكذا كان على إنجلترا، البلد الوحيد الذى ليس فيه وجود يهودى ظاهرى، أن تكون عونًا لله فى الإسراع بالحادث المنتظر، لكن الحركتين، كما تذكر بربارة تخمان، من أجل البعث اليهودى والسماح لليهود بدخول إنجلترا لم تكونا من أجل اليهود أنفسهم «بل من أجل الوعد المعطى لهم... فقد كان ينظر إلى العودة على أنها اعتناق اليهود للمسيحية؛ لأن هذه هى علامة تحقيق الوعد»[٥٧]. وكان الكثير من البيوريتانيين يعتقدون، بدافع من عبريتهم، أن من اليسير على اليهود أن يتحولوا للمسيحية وهو الموقف الذى رأيناه فى حب لوثر للسامية فى المرحلة الأولى من حياته.

وكان بعض دعاة المسيحية اليهودية من اليهود، وأبرزهم «مناسح بن إسرائيل ـ Menasseh Israel» كبير حاخامات أمستردام، يؤيدون الدعوات البيوريتانية الإنجليزية

لإعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا. وقد ربط كتابه «أمل إسرائيل» بذكاء بين مسيحية الإنجليز البيوريتانيين والمسيحية اليهودية الحقيقية، كما ربط بين التفكير اللاهوتى والسياسة العملية[٥٨]. كان مناسح على اطلاع تام على تعاليم البيوريتانيين الجديدة حول الأمور الأخروية، وكان له أصدقاء ورفاق كثيرون من البيوريتانيين الذين فروا من إنجلترا إبان الاضطهاد الذى لاقوه فى عهد الملكة مارى. ولم يكن يرى أن إعادة السماح لليهود بدخول إنجلترا هدف فى حد ذاته ولكنه خطوة نحو إعادة استيطانهم النهائى فى فلسطين.

ويصف سوكولوف مناسح بأنه «لو لم يكن صهيونيًا لما كان شيئًا إذا ما نظرنا إلى الصهيونية فى ضوء ذلك العهد»[٥٩]، وللسبب ذاته يمكن اعتبار الرأى العام فى إنجلترا البيوريتانية صهيونيًا فى ردة فعله المتحمسة للدعوة إلى إعادة اليهود إلى إنجلترا وفلسطين، فقد راجت الترجمة الإنجليزية لكتاب «أمل إسرائيل» ونفدت ثلاث طبعات منه قبل أن تطأ قدما المؤلف أرض إنجلترا عام ١٦٥٥م. والواقع أن الصهيونية كانت العنصر الأساسى فى قضية إعادة توطين اليهود، فقد أدرك البيوريتانيون ودعاة البعث اليهودى أن الظروف السياسية مهيأة لذلك. وأهم من ذلك كله استعدادات أوليڤر كرومويل الشخصية الصهيونية الرائدة.

أوليڤر كرومويل واليهود

كان أوليڤر كرومويل، والذى بقى نحو عشر سنوات رئيسًا للكومنولث البيوريتانى (١٦٤٩ ـ ١٦٥٨م)، متعصبًا دينيًا وسياسيًا يؤمن بالذرائع. ومن أجل حل مشكلة السماح لليهود بالعودة إلى إنجلترا، دعا مؤتمر وايت هول فى ديسمبر عام ١٦٥٥م لبحث شرعية وظروف تلك العودة[٦٠]. كان أعلى المستويات القانونية والدينية ممثلة فى ذلك المؤتمر الذى حضره كرومويل ومناسح بن إسرائيل حيث قدما حججًا بليغة تؤيد عودة اليهود. وكان رأى المؤتمر يعكس فى الواقع وجهة نظر الرأى العام، فقد أكد المحامون أنه ليست هناك اعتراضات قانونية، ولكنهم لا يستطيعون أن يوافقوا على الشروط. ومع أن المؤتمر اعترف من حيث المبدأ بحق اليهود الشرعى فى الإقامة فى بلد مسيحى؛ فإنه أخفق فى الوصول إلى حل عملى.

obeikandl.com

كانت هذه هى النقطة التى تدخل كرومويل عندها بشكل شخصى للسماح بدخول اليهود «عن طريق التغاضى»(٦١) بعد أن ألقت المصلحة السياسية بثقلها إلى جانب الدين والقانون؛ إذ نص مؤتمر «وايت هول» على أن «السماح لليهود بدخول دولة پروتستانتية ينبغى ألا يكون «قانونيّا» فحسب، بل «أمرًا نفعيّا»(٦٢).

كان الكسب التجارى هو الحافز لكرومويل لفعل ما قاله؛ إذ إن الحرب الأهلية التى سبقت العهد الپيوريتانى ألحقت ضررًا بليغًا بمركز إنجلترا كقوة تجارية وبحْرية، وكانت طبقة التجار الپيوريتانيين تشعر بالغيرة من الألمان الذين وجدوا الفرصة سانحة للسيطرة على الطرق التجارية للشرقين الأدنى والأقصى. وكان معروفًا آنذاك أن لليهود الألمان فضلاً فى اتساع التجارة الألمانية مع بداية القرن السابع عشر. وعندما وافق كرومويل على السماح لليهود بدخول إنجلترا من جديد، كان منهكًا بسلسلة من الحروب التجارية مع البرتغال والأراضى المنخفضة وإسپانيا. وكان لدى كلّ من هذه الدول جماعة يهودية مهمة معروفة بثروتها ومواهبها التجارية وقيامها بعقود أعمال فى الخارج. وعلى ذلك، فالتجار اليهود فى إنجلترا «قد يسدون خدمات له بعملهم جواسيس يزودونه بمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له، وعن المؤامرات التى يدبرها أنصار الملكية فى الخارج، بفضل اتصالاتهم وتنقلهم فى أوروپا»(٦٣) وكان هناك حافز آخر وهو رءوس الأموال الضخمة التى يمكن أن يجلبها اليهود معهم لاستثمارها فى الصناعة الإنجليزية.

أما على المستوى الدينى، فقد كان اهتمام كرومويل بجمع اليهود فى إنجلترا يفوق اهتمامه بجمعهم فى صهيون، ونظرًا لأن إنجلترا فى عهده لم تكن إمبراطورية بريطانية بعد، فإن اهتماماته لم تكن استعمارية بل تجارية محضة. وكانت الصهيونية الپيوريتانية قانعة بإعادة اليهود مستقبلاً إلى فلسطين، ولم تكن ترى أن لإنجلترا دورًا سياسيّا فى تحقيق تلك العودة اللهم إلا إذا كانت عودة اليهود لإنجلترا خطوة على هذا الطريق. وبقيت فكرة عودة اليهود إلى فلسطين «كمقدمة لعودة المسيح» تحتل مكانة راسخة فى العقيدة الدينية للپروتستانتية. وأصبحت هذه الفكرة تستغل فيما بعد كستار للمصالح الاستعمارية فى فلسطين التى ارتبطت بالمتطلبات الأساسية للإمبراطورية.

تضاءلت أهمية العبرية فى الحياة الإنجليزية فى أعقاب موت كرومويل عام ١٦٥٨م، لكنها لم تفقد جاذبيتها بالنسبة لكثير من المسيحيين المتعاطفين معها. وبعودة آل ستيوارت للحكم عام ١٦٦٠م، هزمت البيوريتانية نفسها، ثم قضى عليها نهائيًا فى عهد الثورة المجيدة عام ١٦٦٨م. ورغم ذلك استمرت عقيدة العصر الألفى السعيد المؤيدة للصهيونية، بل إنها ازدهرت فى بيئة عصر العقل المعادية لها فى القرن الثامن عشر.

لم تكن البيوريتانية، شأنها فى ذلك شأن العبرية المسيحية إبان مجدها، محصورة فى إنجلترا وحدها، بل امتدت إلى أرجاء أوروبا كافة؛ حيث كانت البروتستانتية راسخة الأقدام. ولقد كانت الأفكار الصهيونية راسخة فى الإحساس الشعبى فى الأراضى المنخفضة الكالفينية؛ إذ إن اليهود الإسبان الذين فروا هربًا من محاكم التفتيش وجدوا ملاذًا لهم ولقوا كل ترحيب كحلفاء ضد العدو المشترك للملك الإسبانى والكنيسة الكاثوليكية(٦٤).

الصهيونية الألفية فى أوروبا

كانت ثورة هولندا إلى حد كبير أحد الأحداث العرضية فى الصراع الدينى الذى أثارته حركة الإصلاح الدينى، فقد كانت الدول التى تعرف الآن باسم الأراضى المنخفضة وبلجيكا تحت حكم التاج الإسبانى، رغم مرور زمن طويل على حركة الإصلاح البروتستانتى فى ألمانيا. وعندما توطدت البروتستانتية فى المدن والقطاعات الشمالية، أدى تدخل الحكومة الإسبانية الكاثوليكية فى حرية الدين إلى ثورة علنية عام ١٥٦٥م، كتب النصر فى نهايتها للقوات البروتستانتية عام ١٦٠٩م، وأسست جمهورية مستقلة تضم الأراضى التى تشملها حاليًا هولندا، وكانت الألفية البروتستانتية صفة مميزة للأيديولوجية الهولندية الكالفينية فازدهرت الطوائف المتهودة خلال القرن السابع عشر وبلغت ذروتها.

وكان لفرنسا كذلك نصيبها من الصهيونيين المؤمنين بالعصر الألفى السعيد، وبخاصة بين الهجنوت فى المناطق الجنوبية. وكان ممثلهم البارز هو إسحق دى لا پيرير (١٥٩٤ ـ ١٦٧٦م) الذى كتب «دعوة اليهود»، ودعا إلى إحياء إسرائيل بتوطين الشعب اليهودى فى الأراضى المقدسة رغم اعتناقه النصرانية(٦٥)، وقد بعث استرحامه إلى

الملوك الفرنسيين ولكن رسالته لم تنشر مطبوعة إلا بعد ما يقارب القرنين من الزمان، حين دعا نابليون إلى اجتماع السنهدريم اليهودى فى مايو عام ١٨٠٦م(٦٦). ومع ذلك بقى الكاتب عالـمًا ذا نفوذ، بل إنه عين سفيراً لفرنسا فى الدانمارك عام ١٦٤٤م، وهناك عالم فرنسى آخر هو فيليب جنتل دى لانجالير (١٦٥٦ ـ ١٧١٧م) الذى لم يصب نجاحًا كسلفه، فعندما تقدم بخطته من أجل توطين اليهود فى فلسطين على أن يعطى الخليفة العثمانى روما بدلاً منها ألقى القبض عليه، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى(٦٧)، وتنبأ قسيس فرنسى آخر وهو پيير چوريو فى كتابه «L' Ac- Prophetics complissement de» بإعادة تأسيس مملكة يهودية فى فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر(٦٨).

وكان لألمانيا اللوثرية وإسكندناڤيا نصيبهما من الصهيونية التى تؤمن بالعصر الألفى السعيد، فقد كانت هامبورج الواقعة فى شمال ألمانيا مشهورة فى القرن السابع عشر بأنها الموطن الأسطورى لليهود فى القارة الأوروبية، وكان هذا الميناء ثالث موطن مهم بعد لندن وأمستردام يأوى إليه اليهود الإسپان والبرتغاليون الفارون من محاكم التفتيش. كما أن هامبورج كانت مركز الحركة التقوية الألمانية، وهى حركة روحية تركز تعاليمها الأخروية على عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين. وقد استغل مؤسس هذه الحركة، فيليب چاكوب سپنسر (١٦٣٥ ـ ١٧٠٣م) كتابات لوثر الأولى حول المسألة اليهودية من أجل تعزيز حب السامية كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصر قبل عودته لفلسطين(٦٩)، لكنه كان يدعو كذلك إلى تفهم واحترام اليهود الذى يؤثرون التمسك بدينهم.

وفى عام ١٦٥٥م، نشر پول فلجنهارد (١٥٩٣ ـ ١٦٧٧م) كتابه «أخبار سعيدة لإسرائيل» الذى أكد فيه أن عودة المسيح، ووصول المسيح اليهودى حدث واحد(٧٠). وكانت علامة ظهور المسيح اليهودى المسيحى حسب اعتقاد المؤمنين بالعصر الألفى السعيد هى «عودة اليهود الدائمة إلى وطنهم الذى منحه الله لهم من خلال وعده القاطع لإبراهيم وإسحق ويعقوب»(٧١).

انتشرت هذه الأفكار الصهيونية عن عودة اليهود إلى فلسطين من شمال ألمانيا إلى الدول الإسكندناڤية، ففى الدانمارك حثّ هولجر بولى ملوك أوروبا على القيام بحملة

صليبية جديدة لتحرير فلسطين والقدس من الكفار وتوطين اليهود وارثيها الأصليين الشرعيين(٧٢). وفى عام ١٦٩٦م، قدم خطة مفصلة إلى ملك إنجلترا ويليام الثالث طالبًا منه أن يعيد احتلال فلسطين ويسلمها لليهود لإقامة دولة خاصة بهم. وكانت خطته تعد فى ذلك الوقت محاولة جريئة للربط بين الطموحات الدينية لدعاة بعث اليهود والأحداث السياسية، وقد خاطب الملك الإنجليزى بأسلوبه ولغته المسيحية قائلاً «أى قورش العظيم يا أداة الإله العظيم الذى بفضله سيولد المعبد الأخير من بين رماد معبد هيرود»(٧٣) (قورش هو الذى سمح للعبرانيين التوراتيين بالعودة من بابل إلى فلسطين).

وفى السويد، أرغم أندرز بدرس كمب (١٦٢٢ـ١٦٨٩م) «وهو ضابط سابق فى الجيش تحول إلى اللاهوت» إلى مغادرة ستوكهولم بسبب دوره فى نشر حركة التبشير «بالمسيح» اليهودى الألمانية. وقد استقر قرب هامبورج، حيث نشر عام ١٨٦٨م كتابه «أخبار إسرائيل السارة» الذى كان هجومًا عنيفًا على المسيحية التقليدية.

> **«أيها المسيحيون الوثنيون، إنكم تسمحون لمعلمين مزيفين، وبخاصة روما أم الفسق، بأن يقنعوكم بأن الله حرم اليهود من الميراث وطردهم، وإنكم إسرائيل المسيحية صاحبة الحق فى امتلاك أرض كنعان إلى الأبد»(٧٤).**

واستحث اليهود على أن يفرضوا على الآخرين الاعتراف بأنهم شعب الله المختار وأن يتهيئوا للعودة الدائمة للأرض المقدسة.

وبمقدور المرء أن يواصل سرد مقتطفات من أعمال كتّاب بارزين بذروا فعلاً بذور الصهيونية من خلال تعاليمهم الأخروية خلال القرن الذى أعقب عصر النهضة البروتستانتية. وكانت المرحلة الأولى من مراحل هذا النوع من الصهيونية غير اليهودية عاصفة، فقد أوجدت الحروب الدينية وعدم الاستقرار الاجتماعى جوًا متوترًا مشبعًا بالأفكار الباطنية والتوقعات. واجتاحت أوروبا موجات أفكار العصر الألفى السعيد، وبخاصة خلال حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨ – ١٦٤٨م) وما بعدها، وراجت التوقعات المتعلقة بنهاية الزمان بين كل الطبقات الاجتماعية وفى كل الدول.

لم تكن مظاهر الصهيونية غير اليهودية المبكرة إذن أحداثًا في معزل عن غيرها، كما أنها لم تكن أفكارًا يعتنقها مهووسون متدينون وغرباء. لقد ظهرت في أنحاء مختلفة من أوروبا، ولم تقتصر على إنجلترا في ظل الپيوريتانية كما يزعم بعض المؤرخين الصهيونيين. وانتشر أدب ديني ضخم عن دور وقدر اليهود خلال القرن السابع عشر، ولم تخمد جذوته بسبب طبيعته الألفية. صحيح أن الكثيرين من المؤمنين بالعصر الألفي السعيد واجهوا الازدراء والتعذيب، بل والإعدام أحيانًا بسبب معتقداتهم، ولكن كتاباتهم ساعدت على تعزيز فكرة العودة اليهودية إلى فلسطين. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت الأمور العملية، وهي موعد وكيفية العودة، تحظى بأهمية.

* * *

openeikandl.com

هوامش الفصل الأول

(١) من الحقائق المسلم بها أن الصهيونية اليهودية بدأت كحركة أقلية يهودية، وكان الفكر اليهودى فى القرن التاسع عشر معاديًا للصهيونية بشكل عام ويركز على التماثل والإصلاح الدينى. وكانت اليهودية التقليدية تعارض علمانية الصهيونية السياسية. انظر:
Arthur Herzberg: (ed), The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader (New York, 1969),pp. 1 - 20.

(٢) Talcott Parsons, The Social System (Glencoe, New York, 1957).

(٣) ذكر أن المجتمع الإسرائيلى المعاصر يعتمد على أساطير صهيونية أكثر تنوعًا، ولكنها تدور جميعًا حول الأساطير الثلاثة المذكورة. وللاطلاع على بحث مفصل عن الأساطير الأساسية فى المجتمع الإسرائيلى انظر Ferdinand Zweig, The Sword and Harp (London, 1969) وبخاصة الفصل السابع. أما ناحوم سوكولوف فإنه يطلق فى كتابه: History of Zionism (London, 1919). على هذه الأساطير أسماء: الأرض الموعودة، والتميز القومى اليهودى، ومستقبل الشعب اليهودى.

(٤) Louis I. Newman, Jewish Influence on Christian Reform Movement (New York, 1966)p. 19.

(٥) Edwyn R. Bevan and Charles Singer (eds), The Legacy of Israel (Oxford, 1944),p. 69.

(٦) Barbara Tuchmann, Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour (London, 1956)p. 37.

(٧) Friedrich Heer, The Medieval World: Europe 1100 - 1350 (New York, 1961). p. 310.

(٨) Hilaire Belloc, The Jews (Boston, 1922)p. 210

(٩) يتحدث ماثيو آرنولد عن «الإحياء العبرى» فى Culture and Anarchy (Ann Arbor, 1965) p. 172، ويلاحظ جودمان المسيحية اليهودية فى البروتستانتية المبكرة: انظر: Guedmann, Judeisches in Christentaum des Reformations Zeitalter (Vienna, 1870)p. 2.

(١٠) Mayir Verte, The Restoration of the Jews in England Protestant Thought.1790 - 1840, Middle Eastern Studies, Vol 8. No 1, p.14.

(١١) يشير المصطلح Judaizing إلى تقليد الأفكار والممارسات والعادات اليهودية.

(١٢) The Cambridge Modern History Vol. 11 (New York, 1907) p. 696.

Obeikandi.com

(١٣) David Ben - Gurion, The Rebirth and Destiny of Israel (New York. 1954).p. 100.
(١٤) Robert W. Stookey, The Holy Land. Middle East Journal. Vol. 30. No. 3, 1976 p.353.
(١٥) المصدر السابق لـ Sokolow، ص ٦٠ .
(١٦) المصدر السابق لـ Barbara Tuchmann، ص ١٨ .
(١٧) المصدر السابق لـ Newman، ص ٨٢ .
(١٨) المصدر السابق ص ٢٤ .
(١٩) J.G. Dow, Hebrew and Puritan. Jewish Quarterly Review Vol 3. 1981. pp.1 - 60.
(٢٠) المصدر السابق لـ Bevan and Singer، ص ٣٣١ .
(٢١) Heinrich Graetz. Geschichte der Juden. Vol. X (Leipzig 1888) p.2.
(٢٢) كتب المؤرخ اليهودى سيسيل روث Cecil Roth «كانت العلاقات الشخصية بين اليهود وغيرهم فى عصر النهضة - دون استثناء الأرستقراطية بل وأعضاء الأسر الحاكمة - أوثق وأشد مما أصبحت عليه فيما بعد فى أى بلد أوروبى حتى القرن التاسع عشر . انظر : Cecil Roth, The Jews in the Renaissance (New York. 1959). p. 21.
(٢٣) سفر الرؤيا هو آخر أسفار العهد الجديد، وتعود كتابته لأواخر القرن الميلادى الأول حين كان المسيحيون الأولون يقاسون أشد أصناف الاضطهاد تحت حكم الإمبراطورية الرومانية .
(٢٤) Roland H. Bainton. The Reformation and the 16 th Century (Boston, 1952). p. 19.
(٢٥) من الحركات التى وجدت قبل عصر الإصلاح الدينى وكانت لها اتجاهات ألفية، حركة Wal-densians فى القرن الثانى عشر فى جنوب فرنسا، وفرقة Passagii التى ظهرت فى الوقت نفسه وحركة Hussites فى بوهيميا فى القرن الخامس عشر .
(٢٦) Salo W. Baron, A Social and Religious History of the Jews Vol. 2 (New York. 1937). p. 198.
(٢٧) كما ورد فى ص ١٦ من المصدر السابق لـ (Verete) .
(٢٨) المصدر السابق .
(٢٩) المصدر السابق .
(٣٠) Franz Kobler. The Vision was there (London. 1956). P. 18.
(٣١) المصدر السابق، ص ٢٠ .
(٣٢) Albert Hyamson. A History of the Jews in England (London 1918). p. 132.
(٣٣) كما ورد فى Christopher Sykes. Two Studies in Virtue (london, 1953) pp. 50 - 149.
(٣٤) Baron، المصدر السابق، ص ١٩٨ .
(٣٥) R. Lewin. Luther's Stillung zu den Juden. Neue Studien Zur Geschichte der Kirche. Vol. 10, 1911, p. 17.
(٣٦) المصدر السابق، ص ٦٠ .

(٣٧) Martin Luther, Saemtliche Werke, Vol. 29. pp.7. 46.
(٣٨) المصدر السابق، مجلد ٣٠، ص ٧٤.
(٣٩) المصدر السابق، مجلد ٣٢، ص ٩٩ـ٣٥٨.
(٤٠) المصدر السابق.
(٤١) Leon Poliakov, The History of Anti - Semitism (New York, 1965), especially p. 220.
(٤٢) See Richard Gottheil, Zionism (Philadelphia. 1914), p. 96.
(٤٣) W. B. Selbie, The Influence of the Old Testament on Puritanism' in Bevan and Singer, op, cit. pp. 9 - 408.
(٤٤) وجهة نظر البيوريتانية والصهيونية والتعاليم البريطانية «الفريدة» موجودة فى ص ٢٦ ـ ٢٧ من مجلد ١ من كتاب ناحوم سوكولوف السابق ذكره «يظهر التاريخ أن الفكرة الصهيونية وتجدد الجهود المستمرة فى هذا الاتجاه يعد واحداً من تعاليم الشعب الإنجليزى لعدة قرون، فقد كان المسيحيون الإنجليز يدرسون مبادئ القومية اليهودية الأساسية. وهكذا كانت الصهيونية مرتبطة دائماً بإنجلترا. وكانت الفكرة القومية اليهودية تستهوى المشاعر الإنجليزية وتمس شغاف قلوب الشعب الإنجليزى.

ووجهة النظر هذه موجودة كذلك فى كتاب تخمان «Bible and Sword» وفى مقال ف. س. بركت «دين المسيحية لليهودية» حيث كتب «إن المسيحية الإنجليزية أكثر يهودية فى بعض جوانبها من المسيحية الأوروبية بشكل عام، وقد أضفت عليها الروح التوراتية للديانة الإنجليزية منذ عهد الإصلاح الدينى مسحة عبرية، لا مسحة سامية، وهذا يحجب النظام غير العبرى الذى اشتقت منه» انظر ص ٦٩ من المصدر السابق لـ «Bevan and Singer»
(٤٥) Baron، المصدر السابق، مجلد٢، ص ٢٠٠.
(٤٦) Dow، المصدر السابق، ص ٦٩.
(٤٧) كان الاعتقاد بالسحر، حتى من قبل البيوريتانيين الكبار كـ «ملتون، وكرومويل»، مبنيّا على النصوص التوراتية. وكانت المقاضاة القانونية عليه غير معروفة ليهود العصور الوسطى. انظر المصدر السابق لـ Dow.
(٤٨) William Cunningham, Growth of English Industry and Commerce (Cambridge, 1892).
كما ورد فى ص٨٢من المصدر السابق لتخمان.
(٤٩) المصدر السابق.
(٥٠) كتاب القانون اليهودى.
(٥١) T.B Macaulay, History of England, 5 Vols. (Philadelphia 1861), Vol. 1. p. 71.
(٥٢) كان الارتداد للمسيحية خلال حكم چيمس الأول أمرًا مألوفًا.
(٥٣) Cecil Roth, England in Jewish (London, 1949), p. 7.
(٥٤) كما ورد فى Don Patinkin, Mercantilism and the Readmission the Jews to England, Jewish Social Studies, Vol. 8, July 1946, pp. 78 - 161.

obeikandl.com

(٥٥) أرسل إدوارد نيكولوس فى الوقت نفسه تقريبًا استرحامًا مشتبهًا بعنوان «الدفاع عن أمة اليهود المحترمة وجميع أبناء إسرائيل» وقد ربط بين نكسة إنجلترا وسوء معاملتها السابقة «لأنبل شعوب العالم، الشعب الذى اختاره الله» انظر المصدر السابق لسيسيل روث England in Jewish History، ص ٥ .

(٥٦) فقرات العهد القديم المشار إليها هى الفقرة السابقة من كتاب دانيال رقم ١٢ «وعندما ينتهى من بعثرة قوة الشعب المقدس فسينتهى كل شىء» والفقرة ٦٤ من كتاب «Deuteronomy» رقم ٢٨ الذى يتحدث عن الانتشار اليهودى «من طرف إلى آخر فى الأرض» .

(٥٧) تخمان، المصدر السابق، ص٧٩ .

(٥٨) كوبلر، المصدر السابق، ص ٢٦ .

(٥٩) سوكولوف، المصدر السابق مجلد١، ص١٦ .

(٦٠) Mordecai L. Wilensky, Thomas Barlow's and John Dury's Attiude Toward the readmission of the Jews to England' The Jewish Quarterly Review, 50 No. 2, October 1959, and No. 3. January 1960, pp. 75 - 167 and 68 - 256.

(٦١) المصدر السابق .

(٦٢) المصدر السابق، ص ٢٦٠، أقام مناسح بن إسرائيل حجته فى خطابه المتواضع لحامى الحمى على حوافز دينية وحوافز المنفعة، فأشار إلى المكاسب الاقتصادية الكبيرة التى ستجنيها إنجلترا من استيطان التجار اليهود فى إنجلترا، وركز على برهان عودة المسيح رابطًا بين إعادة السماح لليهود ورحيلهم النهائى إلى فلسطين .

(٦٣) تخمان، المصدر السابق، ص٨٩ .

(٦٤) K.H. Rengstorf ansd S. Kortzfleisch (eds), Kirche und Synagoge (Stuttgart 1967). pp. 98 ff.

(٦٥) سوكولوف، المصدر السابق، مجلد ١، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٦٦) المصدر السابق، ص ٤١ .

(٦٧) Revue des Etudes Juives, Vol. 89, 1930 pp.236.

(٦٨) Verete، المصدر السابق، ص ٥ ـ ٦ .

(٦٩) Rengstorf ans Kortzfleisch، المصدر السابق، الفصل الثانى .

(٧٠) H. J. Schoeps, Philosemitismus im Barock (Tuebingen, 1952) p.21.

(٧١) Rengstorf and Kortzfleich, المصدر السابق، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٧٢) Schoeps، المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٧٣) كما ورد فى كوبلر، المصدر السابق، ص ٣٧ .

(٧٤) Rengstorf and Kortzfleisch، المصدر السابق ص٦٣ .

* * *